

تفسير البيضاوي

35 - { وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباءنا ولا حرمنا من دونه من شيء } إنما قالوا ذلك استهزاء أو منعا للبعثة والتکلیف متمسکین بأن ما شاء الله يجب وما لم يشأ يمتنع فما الفائدة فيها أو إنكار لقبح ما أنکر عليهم من الشرک وتحريم البحائر ونحوها محتجین بأنها لو كانت مستقبحة لما شاء الله صدورها عنهم ولشاء خلافه ملجئا إليه لا اعتذارا إذ لم يعتقدوا قبح أفعالهم وفيما بعده تنبيه على الجواب عن الشبهتين { كذلك فعل الذين من قبلهم } فأشركوا بالله وحرموا حله وردوا رسلاه { فهل على الرسل إلا البلاغ المبين } إلا الإبلاغ الموضح للحق وهو لا يؤثر في هدى من شاء الله هداه لكنه يؤدي إليه على سبيل التوسط وما شاء الله وقوعه إنما يجب وقوعه لا مطلقا بل بأسباب قدرها له ثم بين أن البعثة أمر جرت به السنة الإلهية في الأمم كلها سببا لهدى من أراد اهتداءه وزيادة لضلال من أراد ضلاله كالغذاء الصالح فإنه ينفع المزاج السوي ويقويه ويضر المنحرف ويفنيه بقوله تعالى :